

ذكرى الشهداء

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

تمر ذكرى الشهداء ولبنان يرزح تحت نير الاحتلال الأخوي المصمم على تدمير مقوماته كدولة وكيان وهوية وحضارة، فيما طاقم حكمه من رؤساء ونواب ووزراء ورسميين وأشباه سياسيين منصبين رغماً عن إرادة شعبه، حكم كافر قبل صاغراً أن يكون واجهة وأداة لتنفيذ مآرب ومخططات القوى التي نصبته. لقد مرت ٢٦ سنة على هذا الوضع الاستنزافي دون بارقة أمل بالخلاص، فيما معاناة اللبنانيين وعلى كافة الصعد في منحي انحداري، حتى أصبح شعبنا بكافة شرائحه وفي كافة مناطقه من بشري في الشمال إلى القليعة في الجنوب والقاع في البقاع شهيداً يدفع وبشكل يومي من دمه وكرامته ورزقه، فتساوى الجميع في الذل والإفقار، وتوحدوا في الشهادة.

تمر الذكرى والمئات من أهلنا معتقلين اعتباطاً في السجون السورية دون أي وجه حق، محرومين من كافة حقوقهم التي كفلتها لهم الشرائع الإنسانية والسماوية، منسيين من قبل الذين بيدهم القرار لبنانياً وإقليمياً ودولياً. إن هؤلاء وأهاليهم الذين يعانون القهر بأبشع وجوهه والحرمان القاتل من فلذات أكبادهم هم الشهداء الأحياء-الأموات.

تمر الذكرى وهجرة اللبنانيين (مليوناً و ٢٠٠ ألفاً منذ سنة ١٩٩٠) وخصوصاً الشباب منهم بازدياد مضطرد حيث يغادر الوطن شهرياً وطبقاً لتقارير أهل الحكم أنفسهم ما يزيد عن ١٦ ألف مواطن هرباً من الفقر والاضطهاد وبحثاً عن لقمة عيش حرّمهم الشقيق منها في بلدهم. تمر الذكرى وقد أوصل متولو الحكم عجز الموازنة اللبنانية قياساً بالنواتج المحلي الإجمالي (بلغ ١٤٥ في المئة-طبقاً لتقرير نشرته ايكونومست انتليجانس يونيت بتاريخ ٢٠٠١/٤/١٨) إلى أعلى معدل عجز في العالم بعد زيمبابوي، فيما الدين العام قارب عتبة الثلاثين مليار، "والحبل على الجرار" في حين أصبح ثلثي الشعب اللبناني يعيش تحت خط الفقر (طبقاً لتقارير الأمم المتحدة ودراسات البنك الدولي)

تمر الذكرى والآلاف من أهلنا في الجنوب مهجرون وممنوعة عليهم العودة، فيما آلاف أخرى منهم محتجزين اعتباطاً في سجون الدولة مهانين ومتهمين بوطنيتهم يدفعون بأبء ضريبة الصمود والحفاظ على الأرض والهوية يوم تخلى عنهما الجميع وخصوصاً الدولة اللبنانية ومدعي الوطنية في أيامنا هذه.

صحيح أن قصف المدفع قد توقف بعد أن حقق الحكم السوري أهدافه التوسعية وسيطر على الحكم في لبنان، لكن ما يمارس اليوم ضد الشعب اللبناني بكافة شرائحه على أيدي ألام

اللاحرية واللاسيادة من التابعين والمستفيدين من نواب ووزراء سابقين ولاحقين ومستتبين ومستوزرين واتباع الشيطان هو أبشع واشد ضرراً، ألا وهو الارهاب الفكري والنفسي والتجويع والتهجير.

وفيما يحاول البعض إستغلال الذكرى لمآرب رخيصة منها تستير العورات والهروب إلى الأمام، لا بد وأن نسأل أين نحن من دماء هؤلاء الشهداء البررة الذين يتم التتكر لهم بكلام حق يراد منه باطل؟ لا بل أين هم، وأين نحن؟ شهداؤنا، وعلى ضوء الجواب الذي يتردد في نفس كل واحد منا يجب أن تتخذ المواقف وتُعاد الحسابات. ماتوا لنحيا فأين هي حياتنا؟ وهل عيش الذل والخنوع والاستعباد والخوف هو حياة؟ هم استشهدوا ليرفعوا جبين لبنان، فأين ذلك الجبين اليوم بعد مشاهد الذل والانبطاح والقبول بالمهانة والخنوع وانتهاك حرمت البيوت وجرجرة أهلها في الشوارع عراة واضطهاد المطالبين باستعادة السيادة والقرار الحر؟ إجلالاً لتضحيات الشهداء الأحياء منهم والأموات على حد سواء واحتراماً لمن يحملون راية التحرير وفي مقدمهم غبطة البطيريك صفير نقول الذين راحوا وفجأة يدعون للحوار نقول: "أن لا قيمة لأي حوار إن لم يكن بين أحرار، لا تابعين. كما لا قيمة للحوار الوطني على أي مستوى جرى إذا أخرجنا من وعائه سلفاً الوجود السوري في بلدنا الذي وطبقاً لكافة المعايير الدولية والإنسانية يصنف في خانة الاستعمار والاستعباد".

إن دماء الشهداء الأموات ومعاناة الشهداء الأحياء اليومية في السجون والمغتربات وغيرها قد تتحول لعنة علينا إن لم نشهد للحق ونجاهر بالحقيقة ونعمل بشفافية وتفان على تحرير وطننا واستعادة كرامته المهانة. فليعلم من يهمهم الأمر أن أحرار لبنان المؤمنين بحلم البشير والتعايش وعقيدة ال ١٠٤٥٢ لن يركعوا إلا لله سبحانه تعالى مهما اشتدت الصعاب ومهما زاد القهر والتكيل والإبعاد، ومعهم سينطلق لبنان من كبوته تماماً كطائر الفينيق طال الزمن أو قصر، فمن له أذنان صاغيتان فليسمع.